عرض كتاب: سلسلة دراسات أفريقية
افريقيا البحيرات الكبرى الفا عامٍ من التاريخ

African Studies Series

The Great Lakes of Africa, Two thousand years of history.

عرض: الدكتور بشير داود الحسن

المؤلف: جان بيار كريتيان

ترجمة: سمير السيد

Presentation: Dr. Bashir Daoud Al-Hassan

Author: Jean-Pierre Chrétien

Translated: by Samir El-Sayed

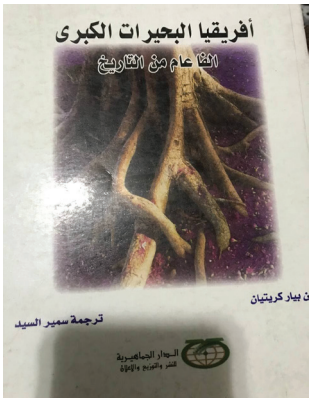

سلسلة دراسات أفريقية

افريقيا البحيرات الكبرى الفا عامٍ من التاريخ

عرض: الدكتور بشير داود الحسن

المؤلف جان بيار كريتيان: ترجمة سمير السيد

المطبعة: دار الجماهير للنشر / مصراته

الطبعة الاولى: ٢٠٠٠

عدد الصفحات: ٣٩١

تقديم :

مؤلف الكتاب: جان بيار كريتيان.

هذا المؤلَّف: يبحث فيه الكاتب عن إفريقيا البحيرات الكبرى، فهي قلب افريقيا الشرقية المفتَّت حيث يمكنك الذهاب بعيداً إذا تحررت من التاريخ والجغرافيا كما فعل ليغنستون، سبيك، باك أو ستانلي.

هكذا كانت الاوهام الغربية التي هيمنت منذ عشرين سنةً على الكتابات النادرة في فرنسا عن تلك المنطقة الأفريقيَّة، هذه الاوهام كانت صدىً لفيلم «مناجم الملك سالومون» الذي أُنتج عام ١٩٥٠ حيث أُشير إلى هضاب رواندا كما حكى افلاطون عن جزيرة أطلنطس الخفيَّة، أو كعالمٍ حقيقيٍّ من الف ليلة، ولكنَّه ضاع في غياهب القارة الأفريقيَّة السوداء أو السمراء.

وحقيقة القول: فإنَّ منطقة (منابع النيل) قد أثارت منذ العصور القديمة (اساطير وأحاجيَ) شاعت فيما بعد في العالمين الإسلاميّ، والمسيحيّ، ومنذ ذلك الوقت تضاعفت في فرنسا الدّراسات العلميَّة في الجغرافيا والالسنية

والانثروبولوجيا والاجتماع والتاريخ مستدركةً بذلك التأخر السابق عن بلجيكيا وانكلترا ناهيك عن ألمانيا، أي المستعمرين القدماء لرواندا، بورندي، الكونغو، أوغندا، تنزانيا.

وفي هذه الدُّول الأفريقيَّة المستقلة منذ نحو جيل فإنَّ البحوث والدراسات الجامعيَّة مستمرةٌ رغم المتغيرات السّياسيَّة والاقتصاديَّة، و مع ذلك فإنَّ المآسي التي أعادت كلياً اكتشاف هذه البلدان في وسائل إعلام الكون باسره ـ خاصة في السنوات الأخيرة ـ تلك المآسي أثارت الشفقة «الإنسانيَّة» أكثر من إثارتها للتساؤلات العلميَّة . وقد شهدنا تراجعاً حقيقيا في عدد التدخّلات الإعلاميَّة.

إن بشاعة المذابح في عناوين الصحف –خاصة فيما يتعلق برواندا عام ١٩٩٤ – أكَّدت الأحكام المسبقة عن البربرية الأفريقيَّة كصورة مظلمة بكل معاني الإنسانيَّة، بل وكأنها أعادت طرح الترجمة الغيبية العنصرية للحقبة الاستعمارية السوداء كما لو كانت قصة هذه المنطقة تكمن ـ من ألفها إلى يائها ـ في معركةٍ سلفيَّةٍ جليةٍ تبدو من خلال تقسيم المجموعات إلى «بانتوس» و«نيلوت» وهكذا جرى التمايز بهذه الطريقة البشعة بكلّ أبعادها و صورها.

وتصميم هذه التسميات تسمح بذلك، وبسهولةٍ على ما يبدو، ولا سيما عندما يدخل المجال الافريقي بتحول الناس إلى متنكرين بزي رسومٍ متحركةٍ إن جاز التعبير بذلك.

إنَّ المستعمرين والمبشرين ومن بعدهم خبراء التنمية جعلوا ـ ولمدةٍ طويلةٍ ـ من هذه المنطقة الأفريقيَّة نوعاً من الفردوس على الأرض، ف «أوغندا» كانت لؤلؤة التاج البريطاني منذ بداية القرن، و«الكيفو» الكونغولي أضحى منذ العام ١٩٤٥ ملاذاً آمناً للبورجوازية البلجيكيَّة التي كانت تعاني الحرب الباردة، و«رواندا» كانت حتى منتصف العام ١٩٨٠ «سويسرا الأفريقيَّة» واكثر من ذلك .

فهذه البلاد الجميلة كانت آهلةً بسكانٍ يتسمون بالحكمة والنشاط، إلى أن أرسل عليهم «الروح القدس» اعصاراً بحسب العبارة الشهيرة، في بورندي سنة ١٩٣٠، وفي اوغندا منتصف الثمانينات، وفي بورندي عام ١٩٩٣ ورواندا سنة ١٩٩٤، وفي زائير عام ١٩٩٧ ونتج عن كل ذلك مقابرُ جماعيةٌ، ومئاتٌ بل وألوف القتلى توحي «بالجحيم» بحسب كتابات المعلقين على تلك الاحداث، لدرجة أن احد الصحفيين تساءل«هل الروح القدس كان موجوداً في رواندا» ؟

واستناداً إلى كل ذلك يبدو صعبا إعادة الأمور إلى نصابها والبحث في تشكيلها، وإعادة جمع أبعادها التاريخية المحددة، ناهيك عن إعادة لحمة مجتمعاتها الأفريقيَّة التي بدت من «هيغل» إلى «برودان» وكأنها لا تساوي شيئاً بالنسبة لمحيطها من وجهة نظر التاريخ العالمي.

هنا علينا أن نتساءل بدايةً ما اذا كانت افريقيا بحيرات الكبرى موجودةً خارج الهلوسة والاستلهام الذي تم ذكره قبل ذلك؟ إذ التسمية بحد ذاتها اقترحها المكتشفون الانكلوساكسون في القرن التاسع عشر، وذلك بعد نشر كتاب «رحلة إلى البحيرات الكبرى في افريقيا الشرقية» للكاتب «ريشارد بورتون» وقد ترجم إلى الفرنسية عام ١٨٦٢، وتبعه عدة قصص لرحالة أعادت مداولة العنوان نفسه.

بيد أن الساحة الأفريقيَّة - وربما إلى وقتٍ قريبٍ - بقيت تحت هيمنة القوى الخارجيَّة والنظرة الاثنيَّة التقليديَّة حيث تاريخ القارة يختزل بتواريخ حروب الزعماء، وبالهجرة، والتفتيت القبليّ، والصراعات السّياسيَّة والاجتماعيَّة وغيرها من الازمات الطبيعيَّة.

يتألف الكتاب من مقدمةٍ وخاتمةٍ وخمسة فصول، مع المصادر المعتمدة في الكتاب. حيث استعرض الكاتب مقدمةً تاريخيةً لمراحل تطور حركة الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والصراعات مع الكوارث الطبيعية للقارة الأفريقيَّة ـ وبشكلٍ خاصٍ شرق افريقيا ـ، وتناول الفصل الاول مراحل الاستيطان القديم

والغزوات الخارجيَّة والداخليَّة في القارة، فضلاً عن تشكيل السكان والأعراق واللغات وحضارة القارة وتطورها التاريخيّ، فيما تناول الفصل الثاني انبثاق نظم الحكم المحلية على مستوى المقاطعات سواء حكم الملوك أو رجال الدين، وكذلك سلطات العشائر، وفي هذه المرحلة حصلت الكثير من المشكلات والاساطير.

أما الفصل الثالث فقد تناول تقدم حركة الحياة العامة والخاصة مع نشر الضوابط والشروط للالتزام بين المجتمع عبر ما نطلق عليه القانون والدستور حسب أنظمة الحكم المتنوعة، ويمكن أن نصف هذه المرحلة بوجود جوانب ايجابيةٍ ومتطورةٍ بالقياس إلى ما كانت عليه القارة الأفريقيَّة، كل ذلك خلال القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر مع بروز الزعامات القبلية والمقاطعات الاقطاعيَّة على حساب عامَّة الشعب.

أمَّا الفصل الرابع فشمل الوصايا الاستعماريَّة، والعمل على بناء قيمٍ وتقاليد في صفوف المجتمع الأفريقيّ، وكذلك مرحلة البحث عن منابع الانهر وإطلاق البعثات التبشيريَّة المسيحيَّة، وكذلك البحث عن التقسيمات الإداريَّة بين المجتمعات الأفريقيَّة والتقسيم الإداريّ الاستعماريّ، والسياسات المحليَّة والبحث عن التجارب الأخرى منها النموذج الأوغنديّ، كذلك الغزوات والحروب في هذه المرحلة الاستعماريَّة وتداعياتها الداخليَّة والخارجيَّة ومنها الغزو الألماني بين فكتوريا وتانجانيقا، ومن ثَمَّ الحربان العالمية الاولى والثانية، والهيمنة على مقدرات الشعوب الأفريقيَّة بالاحتلال والغزو الخارجيّ.

وأخيراً تناول الفصل الخامس موضوع دعوات الشعوب من أجل الاستقلال والتحرر الوطنيّ لعموم القارة الأفريقيَّة قاده الرعيل الأول من الحركات الوطنيَّة في هذه المرحلة الصعبة من الهيمنة الاجنبية على بلدانهم، مع حصول الكثير من الإبادة الجماعيَّة، والثَّورات الشعبيَّة، والانقلابات العسكريَّة، مع ثوراتٍ اجتماعيَّةٍ من أجل العيش والحياة الإنسانيَّة.

عموماً بهذا تم استعراض مراحل وفصول الكتاب عبر عرضها وفق المنهجية التاريخيَّة والعلميَّة . وفي نهاية الكتاب تم وضع مصادر الدراسة والوثائق والملاحق ذات العلاقة.

أقسام الكتاب:

حيث تناول القسم الاول: مصادر إدارة الحلول لدرء الصراعات وكان بواقع عشرة فصول، حيث تحاول الفصول التسعة الاولى من هذا الكتاب اقتراح سبل ووسائل وبناء السلم الأهليّ والمجتمعيّ في افريقيا، إذ تركّز بوجهٍ عامٍ على طبيعة ومصادر الصراعات وإدارة وحلّ ومنع الصراع في بلدانٍ معينة . وتحلَّل هذه الفصول استراتيجياتٌ وآلياتٌ سبق توظيفها في إدارة وحل الصراعات في أفريقيا .